

جرعة وعي للمربين

تقديم
أنا هويد بنيت عبيد السمير
عفرا الله لها ولوالديها

ألقي في عام ١٤٤٥ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة
الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله - عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.
- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث/ الأحد 25 صفر 1445 هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن وعي حقيقة وجوده في هذه الحياة، وعلم أن هذا الوجود نعمة وفضل من رب العالمين، وأن هذه النعمة لا بد من شكرها، وشكرها يبدأ بالوعي بها والشعور بنعمة رب العالمين وعظمة هذه النعمة، ثم إذا وعي ذلك وعي كونه خليفة فيخلف الخلق بعضهم بعض في نقل الحق والعلم، فننقل هذا الحق والعلم لمن بعدنا من ذريتنا، ومن المتربين تحت يدنا فنكون واعين لمسؤوليتنا في نقل الحق.

وقد خلق الله الإنسان وزوّده بقلب هو له بمثابة الوعاء الذي يجمع فيه ما يرد عليه، فمن كان وعاءً للخير، ملأ الله وعاءه، ومن كان وعاءً للشر، حُرِم الخير.

لهذا كان لا بد لنا أن نعلم أن وظيفتنا في التربية هي بناء الوعي، هي استثمار الوعاء الذي رزقه الله لكل إنسان،

وملء الوعاء بما ينفع، فكل ملء للوعاء بالتوافه ستكون نتيجته الخسارات.

والزمن هو العامل لملء هذا الوعي

(وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: ١-٣].

فملأوا وعاءهم بمعرفة الله واستعدوا للقاءه، فعاشوا حياتهم يتعرفون على رب العالمين وعاشوا حياتهم يستعدون للقاءه.

فإذا عرفنا أن هذا المطلوب منا أن نملأ به أوعيتهم، نكون قد عرفنا وظيفتنا في الحياة، ومعرفة الإنسان لوظيفته في الحياة هو مبدأ نجاحه، وغياب الوعي بالوظيفة في الحياة يجعل الإنسان في حالة غفلة، ويسبب له فشل في مقاييس الرضا، وفشل في مقاييس النجاح ومن ثم تجده مهيناً لنفسه مهيناً لمن يُربّي، مضيّعاً حياته فيما يجلب عليه الشقاء.

فلو سأل سائل: بمَ نملأ أوعيتنا وأوعية من نربي لكي نصل إلى الفوز، ولكي تكون مقاييس النجاح والفشل عندنا وعندهم صحيحة وليست خاطئة؟

أعظم أمر يجب أن تعيه الأذن الواعية هو: **الأخبار عن الله**، أعظم أمر يجب أن نعيه هو ما أتى في الكتاب والسنة من أخبار عن الله؛ **نتفهمها، نفكر فيها، نعقلها، ننفعل بها**.

ومما يؤكد هذا الأمر ما نجده في كتاب الله واضح جدًا من تكرار أمرنا بالعلم عن الله، **فنحن كمربين ما علينا إلا أن نبدأ بجمع قلوبنا على كتاب الله**، ونقرأ كل ما يتصل بمادة العلم.

لو بحثت في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، أو بحثت في الأدوات الحديثة التي فيها محرك بحث عن كلمة: **(اعلموا)** التي هي فعل أمر من رب العالمين، ستجد هذه الكلمة متكررة في كتاب الله، فما دام رب العالمين أمرنا أن نعلم، إذن هذا مما يجب أن نعلمه، فعل أمر: **اعلموا**، وسواء جاء فعل الأمر، أو جاء فعل الأمر بطريقة الاستنكار **(أَوَلَا يَعْلَمُونَ)**، **(أَلَمْ يَعْلَمُوا)**.

فهناك إرشادات واضحة في كتاب الله تأمرنا بالعلم وتخص أمور معينة الواجب علينا أن نعلمها، وطبعًا هذه الأمور كلها متصلة بالعلم عن الله، وبالعلم عن محاب الله، وبالعلم عن كيف يُعامل الله خلقه.

وهنا أود منكم أن تستعملوا مصاحفكم؛ لنسير سوياً في هذا الباب وتكون-إن شاء الله-الجرعة من الوعي فيها إرشاد حقيقي، ووصول حقيقي للمراد ثم نفكر سوياً كيف يمكن أن نوصل هذه الحقائق لأبنائنا.

تأمل سورة البقرة آية (106) و (107):

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة: ١٠٦، ١٠٧]

نجد هنا أن الآية تختم بقوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} كلمة عظيمة الواجب أن نعيها، هنا لما ننظر إلى السياق سنجد أنه يخص مسألة متصلة بالوحي، ومسألة متصلة بإنكار أهل الباطل للحق، وهي مسألة النسخ وما يلحق بها، لكن هذه المسألة إجمالاً دلالتها أن هؤلاء اليهود الكذبة، اليهود والكفار عموماً الذين أنكروا النسخ وزعموا أنه لا يجوز، وهذا مثل أي فكرة يمكن أن تكون عند الخلق ويأتون يقولون أن رب العالمين لا يستطيعها؛ لأن هذا الذي كان في فكر اليهود، ففي فكرهم أن الله إذا حكم شرعاً لا

يسقطه و فكرتهم في ذلك متصلة بقدرة الله، أنه إذا شرع شرعًا لا ينسخه.

فرب العالمين أجابهم على هذه المسألة وعلى كل مسألة تشبهها، بل أجاب الإنسان عن وساوس يمكن أن يأت بها الشيطان، فيسبب له اليأس من رحمة الرحمن، وهي شعور الإنسان أن هذا الأمر لا يمكن أن يحصل بمعنى أن هذا الأمر لا يقدر عليه رب العالمين-تعالى الله عن ذلك-.

ولذا فيما يُحكى عند أهل العلم أن الشيطان أتى لعابد فسأله هل يستطيع ربك أن يجعل الكون في بيضة؟ فرد العابد الجاهل متصورًا الكون ومتصورًا البيضة، فقال: لا يستطيع! فيكون بذلك كفر، لا نتكلم عن الأحكام، هو أمر للتفكر في خطورة الجهل وعدم الوعي بمكائد الشيطان في تجهيل الناس برب العالمين وامتحانهم في هذا الجهل وتلييسه لهم في هذا الجهل، عدو لنا يصرفنا عن الحق ويوسوس لنا بالباطل ويمتحننا في هذا الباطل.

الشاهد أن هذا الشيطان كما في القصة ذهب إلى عابد فقال له: هل يستطيع ربك أن يجعل الكون في بيضة؟ فقال: لا،

ويكون بهذا الاعتقاد يكفر؛ لأنه ينكر قدرة الله، فذهب لعالم وقال له: هل يستطيع ربك أن يجعل الكون في بيضة؟ قال: نعم، لكن الله -عز وجل- بحكمته لم يشأ هذا الأمر، فأما إيماننا بقدرته فهي قدرة مطلقة وأما وقوع الشيء فهو تابع لحكمته-سبحانه وتعالى-.

سنعود إلى آية (106) في سورة البقرة ونقرأ أولها سنجدتها في حادثة خاصة، أصحابها -وهم اليهود- تصوروا تصوراً باطلاً عن رب العالمين فأبطل الله تصورهم، وبيّن -عز وجل- وصفاً عظيماً يجب أن يكون في أنفسنا على كل شأن من شؤوننا نعلمه غاية العلم، ونعيه غاية الوعي حتى يدخل إلى أعماقنا.

ما هو هذا العلم الذي يجب أن نعلمه؟

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٠٦]

نعم، فلنعلم هذا ونعلمه لأبنائنا، أن الله وحده على كل شيء قدير ولا يشاركه أحد أبداً في هذا الأمر. وهنا ستأتينا مسائل يجب أن نعيها ونفهمها، لكن قبل أن ندخل في تفاصيل هذه المسائل، لا بد أن نفهم هذا المعنى المجمل:

إثبات قدرة الله المطلقة افهمها فهماً عميقاً

حتى تعالج كل وسواس يمكن أن يوسوس به الشيطان،
وحتى تعالج كل خاطرة ضعف في دعائك أو في رجائك
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) نعم له القدرة المطلقة
كل شيء، جميع الأشياء بدون استثناء قدرة الله عليها، يقدر
على كل شيء، وهذه القدرة العظيمة لرب العالمين القدرة
المطلقة من الأمور الأوليّة التي تسبب تعظيم رب العالمين.
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فالقدرة وصف يتمكن
به الفاعل من الفعل بدون عجز، المقابل للقدرة العجز
والمقابل للقوة الضعف، فالله على كل شيء قدير لا يُعجزه
شيء (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) [فاطر: ٤٤].

أيها الإنسان العاجز، العاجز عن تحريك شيء بدون حول
الله وقوته

اعلم أن الله على كل شيء قدير، وانظر إلى كل شيء
حولك واستخرج منه دلالة قدرة الله.

وهنا لا بد أن نتصور مقدار النقلة التي ستحصل إذا نقلنا
هذا المعنى ونحن ممثلين به إلى أبنائنا. وحول هذا

الموضوع هناك أمور ستظهر أكثر حين ننتقل للآية التالية، سنلاحظ الآية التالية مباشرة، هي قوله تعالى:

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [البقرة: ١٠٧].

الآن عرفنا أن الله -عز وجل- **على كل شيء قدير** إطلاقاً، وزاد في فهمنا قدرة الله المطلقة أنه -سبحانه وتعالى- له **الملك** المطلق، ملك السماوات والأرض له وحده -عز وجل-، فهو مالك كل شيء وقادر على كل شيء، فهو الذي خلق كل شيء مالك السماوات، مالك الأرض، مالك الأجرام التي بين السماوات والأرض، مالك كل هذه المخلوقات.

فإذا كان كل شيء مُلكاً لرب العالمين، وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، فماذا سيكون في القلب لرب العالمين المتصرف في كل شيء مالك الملك، ملك السماوات والأرض له -سبحانه وتعالى- يتصرف كيفما أراد، لا راد لأمره ولا مُعقّب لحكمه، فكيف يمكن أن يعترض معترض عليه؟! كل الذي في السماء والأرض ملك لله، والله على كل شيء.

ألم تعلم أن الله العظيم له ملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، فيخلق ما يشاء، ينشئ ما يشاء، يجري ما يشاء، وكل هذا الذي يخلقه -عز وجل- يملكه -عز وجل-.

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)

الله العظيم الذي هو على كل شيء قدير وله ملك كل شيء ما لكم من ولي يتولى أموركم، ولا نصير ينصركم من دونه، فأقبلوا بجميع قلوبكم إليه ولا تلتفتوا عنه، أقبلوا عليه -سبحانه وتعالى- إقبال العالمين بأن ربهم -عز وجل- هو العظيم الذي على كل شيء قدير وله ملك كل شيء.

وهنا بعد هذه الأخبار العظيمة عنه -عز وجل- يمكن أن يأتي أحد فيقول: ما دام أنه على كل شيء قدير، وأنه -عز وجل- له ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء، فلماذا لا تتحقق الأشياء على مراد الخير الدائم؟ لماذا لا تكون الأرض كلها خير؟

أو يمكن أن يقول أحد: الله على كل شيء قدير وأنا دعوته ولم يُعطني ما أريد! والله له ملك السماء والأرض، وأنا سألته وله الخزائن كلها، لكن لم يأتني ما أريد!

فهنا لابد أن نتعلم مع هذا العلم علماً عظيماً، هذا العلم العظيم المهم الذي يجب أن نتعلمه، هو: أن نتعلم عن **حكمة الله**، ونتعلم بشيء من التفصيل عن **اختبارنا في الحياة**، فالله -عز وجل- اختبرنا بمعرفته وبإخفاء حكمته.

ومعنى اختبرنا بمعرفته: أنه يخبرنا عن نفسه - عز وجل - أنه على كل شيء قدير، فنحن نثق بهذا الخبر، ونعلم كما أمرنا ربنا أن نعلم ثم يختبرنا، وكما نعرف مفهوم الاختبار عند الناس واضح بالذات مع المدارس النظامية، فيأتي المعلم ويسأل الطالب ويخفي عليه الكتب والمراجع، ويسأله طالباً منه أن يفكر في السؤال ويحلله وأن يجيب على ما يعرف من خلال ما يعرف، وهكذا يختبرنا الله في معرفته، فيعلمنا عن نفسه في كتابه، وهذا الأمر قد أخبر الله به آدم - عليه السلام - من وقت إنزاله إلى الأرض (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: ٣٨-٣٩] .

الأمر واضح؛ فإما يأتينكم مني هدى، الناس انقسموا، إذا درست هذا الهدى وتعلمته واهتممت به ستجيب في الاختبار كما ينبغي؛ فلذلك قال لنا رب العالمين: ألم تعلموا؟ ألم تعلم؟ اعلموا؟ أولا يعلمون؟

كل هذه الكلمات تدل على أن الواجب أن يكون عندنا علم، فهذا العلم سنختبر فيه، لا بد نعي أننا نختبر في العلم، فهنا:

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) نحن درسنا وتعلمنا ووضعنا هذا العلم في قلوبنا، وأتت علينا أمور ننظر لها فنشعر كأن القدرة صارت للخلق وأصبحوا في غاية القدرة، وندعو ربنا ونحن مؤمنين أنه على كل شيء قدير، لكن يحبس عنا الإجابة ويختبرنا هل نحن مؤمنين بأنه على كل شيء قدير؟ أم أننا ندّعي دعوى؟ ويحبس عنا الإجابة وله الحكمة البالغة في ذلك -سبحانه وتعالى-.

فنؤمن أنه على كل شيء قدير، وأن له ملك السماوات والأرض، حتى لو رأينا الناس يتصرفون في الملك، وحتى لو وصل الناس حال يظنون أنهم على كل شيء قادرين، فنحن على يقين أن الله وحده على كل شيء قدير، و الخلق لا يقدرّون إلا على ما أقدرهم عليه رب العالمين، ولا يملكون شيئاً ملكاً مطلقاً وإنما يتمكنون من الأشياء بحول من الله وقوة، ويتصرفون بحول منه وقوة، ثم يذهبون أو تذهب الأشياء عنهم، يدخلون قبورهم ما معهم حتى أبسط الأمور التي كانوا يملكونها، وإنما يلفون بخرقة تسترهم عن أعين الناس حتى أبدانهم التي رعوها منتهى المراعاة، يأتي الدود فيتمكن من هذه الأبدان!

فلذلك لابد أن نعي أن ربّ العالمين على كل شيء قدير، وأنه -عز وجل- مالك الملك، له ملك السماوات والأرض -سبحانه وتعالى-، وأننا ليس لنا من دونه ولي ولا نصير لا أحد ينصرنا ولا أحد يتولانا، فلا نظن أن أموالنا أو قوانا أو الآلات التي نملكها أو الأمور التي يستطيعها الناس اليوم أنها ستتنصر الخلق.

ولننظر إلى آثار الزلازل في الأرض التي يملكها الله -نسأل الله يرفع عن إخواننا ما وقع عليهم، يرحم موتاهم ويشفّ مرضاهم ويزيد إيمانهم به- فمثل هذه الزلازل تُعيد علينا: **(وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)** مُلك السماوات والأرض وسلطانهما لله -عز وجل-، والخلق أهل مملكته وطاعته، علينا السمع والطاعة لأمره ونهيه، فيأمرنا -عز وجل- بما شاء، وينهانا عما شاء، وله الحكمة البالغة في كل أمر ونهي، وله الحكمة البالغة في كل تدبير يدبرنا إيّاه.

فنعيد ونزيد حتى نصل إلى اليقين بأنه على كل شيء قدير، وأن له ملك السماء والأرض لا يشاركه أحد، وأنه -عز وجل- مع أنه على كل شيء قدير وأنه له ملك السماء والأرض وأنه ليس لنا من دونه من ولي ونصير، نعلم بأنه

تعالى لا يفعل بنا في أمر من أمور ديننا أو دنيانا إلا ما هو خيرٌ لنا، وهذا يسبّب لنا الثّقة به والتوكّل عليه وتفويض الأمر إليه.

هذا الذي نعيه من أوائل ما ننقله لصغارنا، فنجمع بين إخبارهم بأنه على كل شيء قدير وأن له ملك السماوات والأرض، وإخبارهم بحكمته -سبحانه وتعالى- في أفعاله وحكمته في اختبار الخلق، فنبيّن الأمر بأبسط طريقة، وأن هذا الاختبار الذي يختبرنا بعد أن علّمنا، يختبرنا بعد أن بيّن لنا المنهج وعرفنا عن نفسه، يختبرنا هل نحن به واثقين وعليه متوكّلين هل نحن به راضين، فهذا الأمر مما نكرره عليهم.

• **ولتعلموا** : أن أول ما يفعله سرّقة الوعي -مُقدمي برامج الأطفال حتى يصلوا إلى مقدمي برامج الشباب- أول ما تفعله برامج الكرتون:

أن تجذب قلوبهم لشيء، أي شيء، شخصية، لعبة، أي شيء» يُعطوها صفة القدرة المطلقة، يعطوها صفة التمكن المطلقة، يعظّموها في نفوس الأبناء حتى يجد الأبناء انجذاب لهذه الشخصية وثقة فيها وتعلق، فيصبغوها بصبغة أنها على

كل شيء قديرة! وأن هذه الأشياء التي يبتكرونها من شخصيات وأدوات عظيمة بقدرتها! ولو كانت كُرة، ولو كانت سمكة، ولو كانت طائر، ولو كانت شيء ليس مخلوقاً طبيعياً.

أو من جه أخرى:

هؤلاء سرقة الوعي يحاولوا أن يسرقوا وعي أبنائنا من شعورهم أن الله له ملك السماء في الأرض!، فيجعلون السماوات والأرض مكانا لحرب الفضائيين! ومكاناً لاستيلائهم على الأرض أو استيلائهم على المقدرات أو مكاناً لحرب في النجوم؛ بحيث يغيب عن وعي الأبناء نتيجة اندماجهم في مثل هذه الأفكار وهم يظنون أنهم يتسلّون بها، وهي في الحقيقة تعيد برمجتهم وتعيد تصورهم، فتجدهم يغفلون عن أن الملك ملك الله، وأن الأمر أمر الله، يغفلون عن حكمة الله في هذا الكون، يغفلون عن انتظام الكون يغفلون عما يجب عليهم أن يتأملوا فيه في السماوات والأرض، فبدل ما ينظر إلى السماء، كما أمر في سورة الملك وفي غيرها من الآيات في أواخر آل عمران وفي كثير من سور القرآن، بدل ما ينظر فيجد أن السماوات دالة على

عظمة الله (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ [المك: ٣-٤].

يتأمل فيها فيتيقن ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فيرجع البصر يتأمل فيها ثم يسأل نفسه: هل ترى من فطور؟ ثم. يجد نفسه تلقائياً يرجع البصر كرتين ويجد هذه النتيجة أن البصر ينقلب إليه خاسئاً وهو حسير، هذه التجربة التي يجب أن نقوم بها نحن ويقوم بها أبناءنا ونجعلهم واعيين لهذا الأمر، بدل هذه التجربة ينظر إلى السماء، صار ممكن يتكلم بالخرافات التي تكلم بها هؤلاء، ويكلمك عن الفضائيين الذين يمكن أن ينزلوا من السماء، أو الحرب التي يمكن أن تحصل بسبب هؤلاء، غافلاً عن أن هذه السماوات إنما النظر إليها نظر اليقين الذي يزيد ما في القلب ويشهد لما في الوجدان من يقين بأنها هي والأرض خلقتا لحكمة عظيمة ليست عبثاً.

فليع أبناءنا من طريقنا:

أن الله على كل شيء قدير، يجب أن يعلموا أن الله **وحده** وصفه أنه على كل شيء قدير، وأن الله **وحده** وصفه -عز

وجل- أن له ملك السماء والأرض، وأن كل المخلوقات ما لهم من دون الله من ولي ولا نصير، ولا يمكن أن يكبروا ويعظموا فيكونوا على كل شيء قادرين، ولا يملكوا كل شيء، لا يمكن أن يملكوا كل شيء.

ولذا من الاختبارات التي نعيشها تَمَكَّن الناس؛ فالله -عز وجل- يُمَكِّنهم زيادة ابتلاء لهم ولنا، وانظروا إلى أحاديث آخر الزمان وكيف أن قوم يأجوج ومأجوج في آخر الزمان لما يخرجون وينفتح السدّ ويخرجون ويكونون في تلك الحال المفسدة للأرض، لما ينتهوا من الأرض ومن الإفساد فيها فيهرب الناس إلى الكهوف والجبال، وهم قوم ما راعوا حق الله، من الابتلاء أنهم يرمون سهامهم إلى السماء بعد أن يقولوا: قتلنا كل من في الأرض فلنقتل من في السماء! تصوروا الابتلاء العظيم أن هؤلاء من كثرتهم وقوتهم -كما ورد في الأحاديث- أنهم يشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى أن من يمر من بعدهم يعني آخر جيشهم يمر بذلك النهر يقول قد كان ها هنا ماءً مرة، لا يبقى أحد من أهل الأرض إلا جماعة من المسلمين يهربون في الكهوف وتبقى الأرض خالية.

الشاهد في هذه القصة أنه لما يتمكنون هذا التمكن يقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء، يعني يصلون في الكبر والطغيان شعور أنهم يستطيعوا أن يتمكنوا من أهل السماء فيزيد الله عليهم البلاء، ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة بالدماء؛ للبلاء والفتنة.

وهكذا نفهم في كل حال أن الإنسان لما يزيد طغيان يُمكنه الله، تمكّنه هذا ما هو إلا بسبب بُعده عن الحق، فكان تمكن هؤلاء الذين ينكروا أن الله على كل شيء قدير وأن الله له ملك السماء في الأرض، تمكنهم من أجل أن يؤخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ لأنهم كل ما تمكنوا بدل ما يعرفوا أن ربنا هو الذي أقدرهم وأن الملك ملك الله، وأن الله يكشف من أسرار هذه الأرض ومما فيها من خيرات يكشفها لمن شاء من عباده لينتفع بها، بدل ما يكون هذا هو شعورهم، يشعرون أنهم يستطيعون أن يملكوا العالم وأن يستغنوا عن رب العالمين.

فلنع أن ليس لنا من دون الله من ولي ونصير، وأن الله هو الذي سخر لنا كل شيء، وأن ليس لنا حول ولا قوة، وأن

تمكن الإنسان من خيرات الأرض؛ إنما هو ابتلاء وامتحان،
ولله الحكمة البالغة.

إذن فلنَع وَلْيَعِ أبنائنا: أن الله على كل شيء قدير، وأن الله
له ملك السماوات الأرض، وأنا ليس لنا من دون الله من
ولي ولا نصير، وَلْنَعِ أن هذه المعاني يرتبط بها إيماننا
بحكمة الله العظيمة، نوّمن أن الله له الحكمة البالغة في أن
يختبرنا في إيماننا بقدرته وأنه يملك كل شيء.

هل سنوّمن أن الله وحده على كل شيء قدير، ويبقى
دعاؤنا ورجاؤنا له، وطلبنا منه الأسباب ولما نسعى
بالأسباب في كل خطوة من سَعِينَا للأسباب، نقول: يا رب
الأسباب انفعنا بهذه الأسباب، أنت الأول ليس قبلك شيء،
أنت الآخر ليس بعدك شيء، أنت الظاهر ليس فوقك شيء،
أنت الباطل ليس دونك شيء.

هل سنقول: أننا نعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله له
ملك السماوات الأرض، وأنه ليس لنا من دونه من ولي ولا
نصير؟ اختبار عظيم خصوصًا مع توفر الموارد ومع وجود
الاختراعات.

لكن في كل وقت رب العالمين يوقظنا من هذه الغفلة،
ويُبين لنا أنه على كل شيء قدير وحده ولا شريك له، وأن له
ملك السماء والأرض، وأنه ما لنا من دونه من ولي ولا
نصير.

فلنع هذه الحقائق وعيًا يعيننا على إيصالها لأبنائنا، ولنحافظ
على توحيدهم؛ فالتوحيد كلمة عزيزة لها مكونات وتفاصيل
في حياة العبد، مكوناتها أن نعلم هذا العلم الذي أمرنا رب
العالمين أن نعلمه، وقد عَلم الناس الذين سَلِمَت فطرتهم
وعاشوا الحياة ورأوها وتفكروا فيها علموا هذه الحقائق،
بسبب سلامة فطرتهم وسلامة نظرهم لمن حولهم، فقد رأوا
من تجبر وطغى وظن أنه يملك كل شيء، وأنه يملك هذا
الذي يملكه مُلكًا مطلقًا وأنه يستطيع كل شيء، رأوه و هو لا
يستطيع شيء، رأوه ومُلكه يزول، رأوه وهو ليس له من
دون الله من ولي ولا نصير.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك، أعنا على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك، أعنا على مسؤوليتنا تجاه وظيفتنا، أعنا على
أن نكون واعين بهذه الحقائق، واعين بمن يسرق وعينا
ووعي أبنائنا، واعين بالماكرين. الماكرين مكر الليل والنهار

يمكرون بنا ويمكرون بأبنائنا، يمكرون بهم مكر الليل والنهار ويأمرهم أن يكفروا بالله ويجعلوا له أندادًا، لكن لن يكون هناك عذر لأحد.

يوم القيامة كما في سبأ وغيرها من آيات كتاب الله، يختصم الذين استضعفوا ويقول الذين استضعفوا للذين استكبروا (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا) [سبأ: ٣٣]

يعني الذي جعلنا نكفر هو مكرهم بنا الليل والنهار، لكن هذا الكلام لا ينفع، ولذلك يقول رب العالمين: (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) أسروا الندامة أنهم تركوا أنفسهم وراء هؤلاء الأتباع يسرقون وعيهم، وراء هؤلاء المتكبرين وهم مستسلمين لهم يسرقون وعيهم، في حالة من الضعف مستسلمين، لا ينفعهم هذا أبدًا، لا ينفعهم يوم القيامة يقولوا نحن ضعفاء وأولئك الذين استكبروا هم الذين مكروا بنا (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) هذا الذي كانوا يعملون.

نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من الغفلة بعد الوعي،
نعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، نعوذ بالله من الحور بعد
الكور، نعوذ بالله من الرجوع عن الإيمان والاستقامة إلى
الضلال والكفر، نعوذ بالله من أن نعود من الطاعة إلى
الذنوب.

والحمد لله رب العالمين، نلتقي غدًا في نفس الموعد -بإذن
الله- ونكمل ما يتيسر من هذه الجرعة، أسأل الله -عز وجل- أن
يجعلها جرعة مباركة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته